# كشف الخفاء عما اشتبه فيه الواو بالفاء من آي القرآن

د/ الجيلي علي أحمد بلال

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية القرآن الكريم - قسم القراءات

**المقدمة :**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفى الأمين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد، فهذا بحث دفعني إليه ما شاهدته من اشتباه بعض آيات القرآن حين تلاوتها. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ الصافات: ٢٧ وقوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ الصافات: ٥٠. فألفاظ الآيتين يتشابهان في كل شيء، إلا أن إحداهما صُدِّرت بحرف الواو والأخرى بحرف الفاء. وهنا يُبحث: عن سبب اختصاص الحرف بالموضع الذي جاء فيه؟

**أهمية البحث**: يبرز البحث وجهاً من وجوه الإعجاز البياني، حيث يكشف سر الآيات المشتبهة لفظاً، فكان بعضها بالفاء وبعضها بالواو؛ ليبين أن ذلك كان لِحِكَمٍ وأسرار عظيمة.

**أهداف البحث:**

1- التعرف على الآيات المشتبهة ألفاظها، ولا تختلف إلا بإبدال الواو فيها بالفاء.
2- التحقق من أن ما ورد فيها بالواو لا يصلح فيه الفاء، وما ورد بالفاء لا يصلح فيه الواو، وهو سر الإعجاز.
3- تسهيل الحفظ والاستذكار على حفظة القرآن؛ إذ يمكنهم تمييز ما اشتبه لفظُه حين يدركون وجه ذلك.

**خطة البحث:**

- التقديم له بتمهيد، يتناول أهم الفروق بين معاني الواو والفاء.

- استقراء كل المواضع التي اتفقت في كثير من مقاطعها، وكان اشتباهُها بسبب الواو والفاء.
- تقسيم البحث، بناءً على ما يلي الواو والفاء، فانحصر في فصلين: أحدهما للأفعال، والآخر للأسماء.
- تقسيم فصل الأفعال إلى أنواعها الثلاثة: الأمر والماضي والمضارع، فاندرج في ثلاثة مباحث.
- تقسيم فصل الاسماء إلى مبحثين: ما كان اسم موصول، أو أداة تكثير.
- اشتمل كل مبحث على مطالب، واشتملت المطالب على مسائل؛ فبلغت مسائله تسعاً وعشرين مسألة.
- ومنهجي في البحث: أني أستقرئ مواضع الاشتباه، ثم أحدد كل مسألة منها، وأذكر الآيات المشتبهة فيها، ثم أنظر معانيها في المصادر المُختصة بتوجيه المتشابهات، وفي كتب التفسير التي لها عناية بدقائق الألفاظ، مع الاستعانة بكتب اللغة والبلاغة وحروف المعاني.
- ثم إني أوازن بين الآراء المختلفة، وأحاول الترجيح بناءً على ما يُفهم من سياق الآيات ومدلولات الألفاظ، فإن أُغفِلت في كتب السابقين اجتهدتُ رأيي، مستعيناً بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

**تمهيد: الفروق بين معاني الواو والفاء**

لَمَّا كان الاشتباهُ المقصودُ -في هذا البحث -ينشأ عند حفظة القرآن، بسبب الواو والفاء، كان لا بدّ من التعرّف على أهم معانيهما، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؛ حتى ندرك الفروق الدقيقة، التي جعلت كل واحدة منهما تختص بالمكان الذي ذُكِرت فيه ولا تصلح في الموضع الذي جاءت فيه نظيرتُها.

**أولاً: أهم الفروق بينهما:**

- العطف في الواو يفيد مطلق الجمع، أي: إنه يحتمل ثلاثة معاني: المعيَّة والترتيب وعكسه، فحين تقول: جاء محمد وعليٌّ: احتمل مجيئهما معاً، ومجيء محمد أولاً، ومجيء عليّ أولاً، ولا دلالة فيه على الترتيب على ما حققه البصريون، خلافاً للكوفيين[1]. أما العطف في الفاء: فيفيد الترتيب والتعقيب وقد يفيد السببية[2]: تقول جاء محمدٌ فعلي؛ فدل على مجيء محمد أولاً، وتقول: ضربه فقتله؛ فدلّ على أن القتل سببه الضرب.
- الواو تأتي للحال، وتأتي للقَسَم وتأتي بمعنى (مع)[3]. والفاء لا يكون فيها ذلك.
- الفاء تكون رابطة للجواب[4]، نحو: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ البقرة: ٢٧١.

**ثانياً: المعاني المشتركة بين الواو والفاء:**

1) كل منهما يُشرك المعطوف والمعطوف عليه في اللفظ والمعنى[5]: تقول: جاءت فاطمةٌ وهندٌ، أو جاءت فاطمةٌ فهندٌ، فاشتركا لفظاً في التأنيث والرفع، ومعنىً في المجيء.
2) وكل منهما يدلى على الاستئناف: والمراد به –على التحقيق–: الانقطاع لفظاً، لا معنى، فلا يخرج عن العطف. **وبيانه في الواو**: قولهم: الرفع في: ﴿ وَنُقِرُّ

[1] انظر: الكتاب لسيبويه 438/1، ومغني اللبيب لابن هشام 408/2، ورصف المباني للمالقي ص 473.
[2] انظر: مغني اللبيب 183/1 – 185.
[3] انظر: مغني اللبيب 414/2 – 415، ورصف المباني 480 – 483.
[4] انظر: مغني اللبيب 186/1.
[5] انظر: رصف المباني ص 440 و476.

فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ الحج: ٥، دالّ على الاستئناف؛ إذ لو أراد العطف لانتصب[1]، فبان أنهم يقصدون انقطاعه لفظاً؛ لأنه متصل بما قبله معنىً. وكذلك الفاء في الاستئناف تكون للعطف، على ما حققه ابن هشام: ففي قوله: ألم تسْألِ الرَّبْعَ القَواءَ فينطِقُ، يقدرون كلمة (هو) ليبينوا أن المعتمد بالعطف الجملةُ لا الفعلُ[2]، أي: فهو ينطق. فظهر أن المراد بالاستئناف فيهما: الانقطاع لفظاً لا معنىً.

3) وقال الكوفيون والأخفش وجماعة بزيادة الواو، وأجاز بعضهم زيادة الفاء، ولا يثبته سيبويه[3].

وللزيادة فيها تأويلاتٌ تُخرجها عنها، "فلا ينبغي أن تُجعل الزيادة معنى خاصاً بها"[4].

**الفصل الأول: ما جاء فيه – بعد الواو والفاء – فعلٌ**

والفعل إما: فعل أمر أو ماضٍ أو مضارع، فانتظم في ثلاثة مباحث:

***المبحث الأول: ما جاء فيه – بعد الواو والفاء – فعلُ أمر***

وهو إما أمرٌ للواحد أو الاثنين أو الجماعة؛ فهذه ثلاثة مطالب:

[1] انظر: مغني اللبيب، 2/ 414.

[2] انظر: مغني اللبيب، 190/1. والبيت لجميل وهو من شواهد الكتاب لسيبويه، 37/3.

[3] انظر: مغنى اللبيب 417/2 و 188/1.

[4] رصف المباني، ص 449.

**المطلب الأول: أمر الواحد، وهو مسألتان:**

**المسألة الأولى: (فَٱصۡبِرۡ -وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ )**

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الطور: ٤٨. وجاءت بالفاء في موضعين: **الأول**: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ القلم: ٤٨. **والثاني**: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ الإنسان: ٢٤. وهي من المسائل التي أهملتها المصادر المُوجّهة للمتشابهات.

أما موضع **الطور**: فقد عُطِف فيه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ على: ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴾ الطور: ٤٥.لأنّ أهل مكة، لما بلغوا من العناد ذِروته؛ حتى قال الله فيهم: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ﴾ الطور: ٤٤، قال الله لنبيّه؛ تفريعاً على عنادهم: ( فَذَرۡهُمۡ )، أي: اترك عرض الآيات عليهم؛ لأنهم لا يقترحون تلك الآيات طلباً للحُجة، وإنما هم يكابرون[1]. ثم عطف عليه أمره بالصبر لحكم ربه، فكانت الواو هي التي تؤدي ذلك.

وأما **موضع القلم**: فقد تقدّمه مزاعمُ المشركين ومطاعنهم في القرآن، وكان ذلك شديداً على النبي عليه السلام، فحتى لا يحصل له اليأس، وحتى لا يضجر ويستعجل كما استعجل صاحب الحوت، أمره الله بالصبر لحكم ربه، أي: على

[1] انظر: التحرير والتنوير، 80/27.

أعباء الرسالة، فكانت الفاء هي التي تفيد هذا التفريع[1]، خاصةً وأن نهيه عن أن يكون كصاحب الحوت، بمثابة التعليل للصبر الذي أمره به، أي: فلا تستعجل وتضجر كما فعل صاحب الحوت، بل فاصبر لحكم ربك، والله أعلم.

وأما **سورة الإنسان**: فإن قوله (فاصبر) بالفاء مفرّع على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٣ ، الذي دلّ فيه فعل (نزّلنا) على نزوله منجماً، وفيه إيماء إلى حكمة نزوله مفرّقاً، الذي اتخذه المشركون شُبهة ليشككوا في أنه من عند الله. أي: إذا كان الله هو الذي نزل عليك القرآن، وأمرك بتبليغه، فاصبر لحكم ربك، أي: على أعباء الرسالة، وما تلقاه من أذى المشركين[2]. وهذا هو موضع الفاء، ولا يصلح له الواو.

## المسألة الثانية: (فَتَوَلَّ عنهم - وتَوَلَّ عنهم)

جاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ الصافات: ١٧٤. وجاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ الصافات: ١٧٨. هذه المسألة مهملة في جميع ما وقفتُ عليه من المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات.

أما موضع الفاء: فمفرّع على ما سبق من تسلية النبي صلى الله عليه وسلم[3]، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ الصافات: ١٧١ – ١٧٣. أي: قد علمتَ أن الله وعد

[1] انظر: المصدر نفسه، 104/29.

[2] انظر: المصدر نفسه، 29/ 402 و 403.

[3] انظر: التحرير والتنوير 195/23.

رسله بالنصر والغلبة، فتولّ عنهم، أي: لا تهتم بما يقولونه ولا تنكد من إعراضهم. وهذا ظاهرٌ أنه موضع الفاء.

وأما الثانية التي بالواو فمعطوفة على قوله تعالى: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ الصافات: ١٧٦؛ "لأن معنى المعطوف عليها: الوعدُ بأن الله سينتقم منهم؛ فعطف عليه أمرَه رسولَه –صلى الله عليه وسلم –بأن لا يهتم بعنادهم"[1]. وكانت الواو هي التي تؤدي هذا الغرض؛ إذ ليس فيه تعقيب ولا تسبيب ولا ترتيب على سابقه. والله أعلم.

**المطلب الثاني: أمر الاثنين، وهو مسألة واحدة:**

## (وَكُلَا – فَكُلَا )

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ٣٥، وجاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٩.

قيل: إن ما في الأعراف خطابٌ لهما قبل الدخول، وما في البقرة خطاب لهما بعد الدخول، وذلك لأن الأمر بالدخول يستدعى أن يترتب عليه الأكل، بخلاف الأمر بالسكنى؛ ولذا فُسّر قوله (اسكن) في الأعراف بمعنى: ادخله واسكن[2].

[1] انظر: التحرير والتنوير 23/ 198.

[2] انظر درة التنزيل ص 11.

وقيل: إن ما في البقرة: قُصد به مجرد الإخبار والإعلام لرسولنا الكريم بما جرى في قصة آدم وابتداء خلقه، وأمرِ الملائكة بالسجود له، وما جرى من استكبار إبليس عن السجود، ثم أمرِ آدم بسكنى الجنة والأكل منها، ولم يقصد غير التعريف بذلك من غير ترتيب زماني ولا تحديد غاية، فناسبته الواو، وأن آية الأعراف مقصودها تعداد نعم الله على آدم وذريته؛ فناسبته الفاء الدالة على الترتيب[1].

وأرجع بعضهم ذلك لاختلاف معنى (اسكن) فيهما: ففي البقرة معناه: الإقامة التي تستدعي زماناً ممتداً فناسبها الواو، أي: اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها. وما في الأعراف معناه: السكنى، التي تدل على اتخاذ الموضع مسكناً، ولا يستدعي زماناً ممتداً، والأكل يقع عقيبه لا معه. ويدل عليه خطاب الله لآدم بعد طرد إبليس: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ ﴾ أي: اتخِذا لأنفسكما مسكناً فكلا من حيث شئتما[2].

ووجهه بعضهم بأنه لما زاد في البقرة (رغداً) –ومعناه الواسع الرفِه –كان محلاً للواو؛ لأنه لا تحجير فيه؛ إذ يصير كالواجب الموسع، وفي الأعراف لَمّا لم يذكر هذا القيد عطف بالفاء؛ تنبيهاً على أن الجنة محل الراحة، فلا يُكلّف داخلُها بعبادة. وقيل: جاءت بالفاء؛ رعايةً للتناسب مع ما قبلها، الذي دخلته الفاء: (فاهبط منها) (فما يكون لك...) (فبما أغويتني) (فوسوس). وحيث لم يكن في البقرة كذلك عُطف بالواو[3].

---

[1] انظر: ملاك التأويل 28/1 و29.

[2] انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني ص 70 و71. وانظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة ص 92 و93.

[3] انظر قطف الأزهار في كشف الأسرار، جلال الدين السيوطي 1/ 232 و233.

والذي أراه أن موضع البقرة جاء بلفظ الحكاية (وقلنا..) وهو عطف لنعم متعددة على بني آدم؛ فناسبه الواو، وأما موضع الأعراف فجاء الخطاب فيه مباشرةً لآدم عليه السلام (ويا آدم)، وذلك بعد طرد إبليس اللعين من الجنة وإخراجه منها مذءوماً مدحوراً؛ فدلّ على أن هذا أول خطاب لهما بدخول الجنة، ولهذا رتب عليه إباحة الأكل لهما عقيبه، بل قد يكون فيه معنى التسبيب؛ لأن توجيه الخطاب إليهما بعد طرد إبليس يوحي بذلك، فصلُحت له الفاء. والله أعلم.

**المطلب الثالث: أمرُ الجماعة**

**مسألة: (فَكُلُوا - وَكُلُوا )**

عُطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٥٨ ، وعُطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ الأعراف: ١٦١.

اتفقت كلمة الموجّهين – الذين اطلعت على مصنفاتهم –: أن آية البقرة إنما كانت بالفاء؛ لأنهم أُمرو بدخول القرية، والأكل لا يكون مصاحباً للدخول وإنما يكون عقِبه، وهو موضع الفاء. وأنّ آية الأعراف إنما كانت بالواو؛ لأنهم أُمروا بالسكنى،

وهذه زمانها ممتد؛ فلا يكون الأكل عقبه، وإنما يكون مصاحباً له؛ فكان الواو هو الذي يُحرز هذا المعنى[1].

***المبحث الثاني: ما جاء فيه –بعد الواو والفاء –فعل ماضٍ.***

وهو: إما تسبقه أداة نفي أو شرطٍ أو ظرف، أو يكون مجرداً عنها، والمجرد عنها: إما جامد من أفعال المدح والذم، وإما غيرها؛ فانتظم في خمسة مطالب:

**المطلب الأول: الماضي الذي سبقته أداة النفي، وهو مسألتان:**

**المسألة الأولى: (وَمَا كَانَ - فَمَا كَانَ )**

**جاءت مسبوقة بالواو في قصة لوط عليه السلام** في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٨٢. **وجاءت مسبوقة بالفاء -في قصته كذلك -في موضعين:**

**الأول:** ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ النمل: ٥٦. **والثاني:** ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ العنكبوت: ٢٩ .

[1] انظر: ملاك التأويل لابن الزُّبير 36/1 و37، والبرهان للكرماني ص 72 و73، وكشف المعاني لابن جماعة 96 و97، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري ص 26.

**وجاءت مسبوقة بالفاء في قصة إبراهيم عليه السلام:** ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٢٤.

أما ما سبقته الواو –في سورة الأعراف –فقد وجّهوه بأنه تقّدمه اسم، وهو (مُسرِفون) في قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ الأعراف: ٨١، قالوا: والاسم لا يناسبه التعقيب. وأما الموضعان الآخران في قصة لوط عليه السلام، فقد سبقهما فعل، وهو (تجهلون) في قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ النمل: ٥٥، و(تقطعون) و(تأتون) في آية العنكبوت. قالوا: والفعل يناسبه التعقيب[1]. أي: إن الجملة الفعلية تكون مسوّغاً لتقدير معنى السببية، بخلاف الجملة الاسمية[2]. قالوا: "والواو والفاء جائزتان في الموضعين، إلا أنه يُختار حيث جاء الأصل الذي وُضعت الفاءُ فيه؛ لتوجب ما بعدها لوجود ما قبلها، وهو الفعل، واختيرت الواو حيث كان الملفوظ به الاسم؛ ليُفرق بين الموضعين، فيختار لكل ما هو أليق به؛ إذ ليس الاسم أصلاً فيما جُعلت الفاء للجواب فيه"[3]. وقيل: هي تفيد تعقيب جزء القصة على أوله، فلا تفيد إلا تعقيب الإخبار، فهي مساوية للواو في ذلك، وإنما أوثر حرف

[1] انظر البرهان للكرماني ص 125، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري ص 200.
[2] انظر: ملاك التأويل 210/1 و211.
[3] درة التنزيل وغرة التأويل 162.

التعقيب هنا تفنناً في الحكاية، ومراعاةً لنظيرها في قصة ثمود: ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ النمل: ١٤٥[1] .

وكل ما قيل، نُظِر فيه للفظ دون المعنى، وفاتهم أن العبارتين مختلفتان. والذي أراه: أن لوطاً -عليه السلام -كرر لهم الوعظ، فقال لهم أولاً: (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ )، فلم يبادروا بجوابهم بإخراجه، حتى قال لهم: (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ) فبادروه بجوابهم بإخراجه، فكان ذلك رداً على قوليه جميعاً: فأتت الفاء عقب العبارة الأخيرة منهما؛ للدلالة على التعقيب، وجاءت الواو بعد الأولى منهما؛ لعدم التعقيب مع إفادتها المصاحبة. وهذا من دقائق التعبير القرآني؛ فإنه لو جاء بالفاء فيهما، لاقتضى التعقيب بعد العبارتين، فيكون مشكلاً.

وأما في سورة العنكبوت، فإن قولهم ( ئا ئا ) كان عقب قوله لهم: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ )، أي: إنهم - بعد أنكر عليهم إتيان الفاحشة - بادروه بطلب العذاب؛ فناسبته الفاء.

وأما ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام، فلم أعثر على توجيه له في المصادر التي لها عناية بذلك. وقد ذكر صاحب التحرير والتنوير[2] أنها تفريع على جملة: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

[1] انظر: التحرير والتنوير 5/20.

[2] طاهر بن عاشور 234/20.

تَعۡلَمُونَ ﴾ العنكبوت: ١٦، فهو -عليه السلام -أمرهم بعبادة الله وحده وتقواه، وبيّن لهم ما هم فيه من الضلال بعبادتهم الأوثان.. ولكنهم قابلوا ذلك بتواطُئهم على قتله أو إحراقه؛ فكان هذا هو جوابهم لدعوته، وهذا هو التفريع الذي عناه صاحب التحرير. ولا شكّ أن التفريع يناسبه الفاء.

**المسألة الثانية: (وَمَا كَانُواْ - فَمَا كَانُواْ)**

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ يونس: ١٣. وبالفاء في قوله تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٠١، وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ يونس: ٧٤.

لم تذكر المصادر، التي لها عناية بتوجيه المتشابهات اللفظية، هذه المسألة، إلا ما كان من الكرماني، حيث قال باقتضاب: "قوله: (وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ)، بالواو؛ لأنه معطوف على قوله (ظَلَمُواْ)، من قوله (لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ). وفي غيرها بالفاء للتعقيب"[1]. وإذا

[1] البرهان ص 139.

كانت عطفاً كانت تفسيراً للمعطوف؛ لأن عدم تصديقهم للأنبياء هو الظلم كله، ويجوز أن يكون اعتراضاً، فيكون تأكيداً لمضمون الجملة وهو الهلاك لِما يستحقون من الإجرام؛ لأن مثل هذا الإهلاك لا يكون إلا لمن لا يؤمنون[1]. ومعنى (وما كانوا ليؤمنوا) أي: "أهلكناهم؛ لعلمنا أنهم لا يؤمنون: يخوف كفار مكة عذاب الأمم الماضية "[2]. أي: إن الله أهلك القرون من قبلُ بسبب ظلمهم ولعلمه بإصرارهم على عدم الإيمان، فتكون جملة (وما كانوا ليؤمنوا) معطوفة على (ظلموا). وقد وضح بهذا أن الواو هي الأنسب بها.

وأمّا موضع الأعراف: فقد جاءت الفاء فيه؛ "لترتيب الإخبار بانتفاء إيمانهم عن الإخبار بمجيء الرسل إليهم، الذي كان ينبغي أن يحملهم على الإيمان"[3]. أي: إن الله تعالى يخبرنا عن استمرار عدم إيمانهم بما كذبوا به من قبلُ، بعد مجيء الرسل إليهم، الذي كان ينبغي أن يحملهم على الإيمان، ولكنهم لتصلبهم في الكفر – الذي عَلِمهم اللهُ منهم –استمروا في عدم إيمانهم. والاستمرار على الفعل –بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه –هو تجديد للفعل، فيكون بمثابة الفعل الجديد، تقول: وعظتُه فلم ينزجر، ودعوتُه فلم يُجب[4]، ولهذا صلحت له الفاء. وكذلك موضع يونس الآخر: فإن الإخبار عن استمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي مُرتب على مجيء الرسل إليهم، وبدلاً من أن ينصاعوا للرسل ويصدقوهم، استمروا في عنادهم وتكذيبهم، وذلك بإصرارهم على عدم الإيمان[5]. ويُلاحظ أن (ما كانوا

[1] انظر: فتوح الغيب للطيبي 441/11.
[2] تفسير القرطبي [المجلد الرابع] 318/8.
[3] التحرير والتنوير: 30/9.
[4] انظر: تفسير أبي السعود 255/3.
[5] انظر: تفسير أبي السعود 166/4.

ليؤمنوا) جاء –في موضعي الفاء –مقيَّداً بتكذيبهم السابق، بخلافه في الأعراف، فقد نفى عنهم مطلق الإيمان. وأحسب أن هذا هو الذي جعل الخبر فيهما مرتباً بالفاء؛ لأنه يدل على تكرر الموعظة لهم، بخلافه في الأعراف؛ لأن هلاك أولئك كان بسبب ظلمهم وبعِلم الله بإصرارهم على عدم الإيمان بعد مجيء الرسل؛ فناسبته الواو. والله أعلم.

**المطلب الثاني: الماضي الذي سبقته أداة شرط ، وهو مسألة واحدة:**

**مسألة: ( وَإِذَا - فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ )**

عُطفت بالواو في موضعين: **الأول**: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ١٢. **والثاني**: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ الزمر: ٨. وعُطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر: ٤٩.

هذه المسألة مهملة في كل مصادر توجيه المتشابهات التي اطلعتُ عليها، ولكن فطن الزمخشري لوجه الفاء في الموضع الآخر من سورة الزمر، وأتى فيها بكلام حسن، وتبعه مَن بعده من المفسرين: حيث بيّن أنها وقعت مسبّبة عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا

﴿ ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ الزمر: ٤٥ ، "على معنى: أنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة؛ فإذا مس أحدَهم ضرٌّ دعا من اشمأزّ من ذكره، دون من استبشر بذكره"[1].

وهذا الكلام مرتب على ما سبق؛ فناسبته الفاء، والغرض منه التهكم والتحميق مع ذمهم بالمناقضة والتعكيس، ولذا قالوا: إن في الفاء استعارة تبعية تهكمية[2].

أما آية الزمر الأولى: " فلم تقع مسبّبة، وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو، كقولك: قام زيدٌ وقعد عمروٌ"[3]. والجملة المعطوفة عليها هي: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ الزمر: ٦: لاشتراكهما في تفرد الله بالتصرف بالملك، حتى إن المشركين ليُضطرون لتوحيده حين يمسهم الضر، ولكنهم يعرضون في حال النعمة[4]. ويجوز أن تكون معطوفة على جملة: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾ الزمر: ٧؛ لاشتراكهما في الإشارة إلى كفران الإنسان وقلة ثباته، "ويجوز أن تكون الواو استئنافية، والجملة تذييلية"[5]. وسواءً كانت معطوفة أو استئنافية، فإن المناسب لها هو الواو دون الفاء.

[1] فتوح الغيب للطيبي 404/13.

[2] انظر: روح المعاني للآلوسي 12/24.

[3] هذا قول الزمخشري، انظر: فتوح الغيب 406/13.

[4] انظر: التحرير والتنوير 242/23.

[5] فتوح الغيب 405/13.

وكذلك سورة يونس صُدرت بالواو؛ لأنها معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ يونس: ١١؛ إذ بيّن الحق سبحانه –في هذه الآية –وجهَ تأخير عذابِ الاستئصال عنهم، وإرجاءِ جزائهم للآخرة، وفي الآية المعطوفة بيَّن حالهم حين يمسهم ضرٌّ وحين يُكشف عنهم. والغرض منهما هو الاعتبار بأحوال المشركين الذميمة؛ تنفيراً من الوقوع في أمثالها[1]. وجاء (الضر) معرّفاً؛ إشارةً إلى (الشر) في الآية قبلها[2].

**المطلب الثالث: الماضي المصدَّر بالظرف، وهو ثلاث مسائل:**

**المسألة الأولى: (وَلَمَّاجَآءَ أَمْرُنَا - فَلَمَّا)**

عُطفت بالواو في موضعين، **الأول**: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ هود: ٥٨، **والثاني:** ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ هود: ٩٤.

وعُطفت بالفاء في موضعين، إلا أن أحدهما ليس فيه (نَجَّيْنَا ): **الأول**: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ هود: ٦٦.

[1] انظر معاني ما ذكرته في التحرير والتنوير 109/11، مع تقديم وتأخير واختصار بقصد التوضيح.
[2] انظر البرهان للكرماني ص 139.

**والثاني:** ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ هود: ٨٢.

يُلاحظ أنه جاء بالفاء في قصتي صالح ولوط، وجاء بالواو في قصتي هود وشعيب. وعللوا ذلك بأن العذاب في قصة هود وشعيب تأخر عن وقت الوعيد، وفي قصة صالح ولوط وقع العذاب عقيب الوعيد.

وبيان ذلك في قصة هود: أن هوداً –عليه السلام –قال لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ ﴾ هود: ٥٧، فقد اكتفى بتحذيرهم، ولم يتوعدهم بعذاب قريب يقتضي ربطه بالفاء، فكانت الواو هي الأنسب به. وكذلك قصة شعيب، خاطبهم بقوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ هود: ٩٣، فلم يتقدمها ما يدل على قرب العذاب منهم، وإنما خوفهم به، ولذا عُطف بالواو؛ لعدم مناسبة الفاء له.

وأما قصة صالح: فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ﴾ هود: ٦٥، فناسبها الفاء، كأنه قيل: فلما انقضت، فالتعقيب ظاهر فيها. ومثلها قصة لوط: حيث أخبره الرسل بوقت العذاب: ﴿ إِنَّ

مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود: ٨١. وهو يقتضي تقدير الفاء؛ تحقيقاً لوعد الله تعالى، أي: فلما أصبح[1].

**المسألة الثانية: (ولَمّا جهّزهم – فلَمّا جهّزهم)**

عطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ يوسف: ٥٩، وعطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴾ يوسف: ٧٠.

أما **الموضع الأول** فقد جاء معطوفاً على قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾ يوسف: ٥٨. ولما كان هذا أول مجيئهم إلى يوسف؛ ناسبته الواو الدالة على الاستئناف. وأما **الموضع الآخر**، فقد ذُكِر عند انصرافهم عنه، عطفاً على قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ يوسف: ٦٩؛ فناسبته الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب[2].

[1] اتفقت معظم المصادر على هذه التوجيهات بعبارات مختلفة: انظر: درة التنزيل للخطيب 234 وما بعدها، وملاك التأويل لابن الزبير 258/2، والبرهان للكرماني ص 145، وكشف المعاني لابن جماعة ص 214، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري ص 267.

[2] انفرد الشيخ زكريا الأنصاري بهذه المعاني التي ذكرتها، وأهملتها بقية المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات. انظر: فتح الرحمن ص 279.

**المسألة الثالثة: (ولَمّا دخلوا – فلَمّا دخلوا)**

عُطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ يوسف: ٦٩، وعُطفت بالفاء في موضعين: **الأول**: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يوسف: ٨٨.

**والثاني**: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ يوسف: ٩٩.

هذه المسألة مُغفلة في كل ما اطلعت عليه من المصادر المعنية بتوجيه المتشابهات. وأنا ذاكرٌ فيها –بعون الله وتوفيقه –ما ظهر لي من السياق، وما ذكره بعض المفسرين في حروف الربط فيها.

أما **الأولى**: فقد عُطفت جملةُ دخولهم على يوسف، على جملة كيفية دخولهم التي كانت طبقاً لتوجيهات أبيهم: أن يدخلوا من أبواب متفرقة. ولذا فهي غير مترتبة عليها ولا مسببة عنها؛ فناسبها الواو.

وأما **الثانية:** "فالفاء عاطفة على كلام مقدر دلّ عليه المقام، أي: فارتحلوا إلى مصر بقصد استطلاق بنيامين من عزيز مصر، ثم بالتعرض إلى التحسس من يوسف – عليه السلام –، فوصلوا مصر، فدخلوا على يوسف، فلما دخلوا...."[1].

وكذلك **الثالثة؛** فإنه قد طوى ذكر سفرهم من بلادهم إلى دخولهم على يوسف، عليه السلام، كما نبه على ذلك ابن عاشور[2]، وهو –وإن لم يذكر وجه الفاء فيه – إلا أنه واضح مما ذكره. أي: إنهم ارتحلوا من بلادهم حتى وصلوا مصر، فدخلوا على يوسف، فلما دخلوا على يوسف...، فهذا مكانه الفاء، كما لا يخفى. والله أعلم.

**المطلب الرابع: الماضي من أفعال المدح والذم، المجرد من الأدوات. وهو مسألتان:**

**المسألة** الأولى: **(ونعم – فنعم)**

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٦، وبالفاء في قوله تعالى﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ الزمر: ٧٤.

[1] التحرير والتنوير 46/13.

[2] انظر: التحرير والتنوير 55/13.

أغفلت مصادر توجيه المتشابهات موضع الزمر، الذي هو بالفاء، وكان توجيههم لموضع آل عمران بالواو، مقارناً مع موضع العنكبوت: ٥٨ بحذف الواو، وهو خارج نطاق بحثنا؛ لأنه يتناول ما اشتبه بالوصل والفصل من الآيات.

أما موضع آل عمران، فقد ذكروا فيه: أن "الواو للعطف على (**جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٌ**)، فهو من عطف الإنشاء على الإخبار، وهو كثير في فصيح الكلام"[1].

وأما موضع الزمر فإنه جاء معطوفاً بالفاء؛ وذلك لمعنىً لطيف ظهر لي، وهو: أن الآية تصور مشهداً من مشاهد أهل الجنة، حين استقروا فيها، ورأوا صِدقَ وعدِ الله لهم جزاءً على أعمالهم في الدنيا، بما أكرمهم به من النعيم، فرتبوا عليه ثناءهم على هذا الجزاء العظيم، يقولون: هذا ما وعدنا ربُّنا على جميل أعمالنا، فنعم أجرُ العاملين. وهذا من الترتيب الذكري الذي تفيده الفاء في عطف الجُمل: بأن يكون المذكور بعدها كلاماً مرتباً على ما قبلها، "فإنّ ذكر ذم الشيء أو مدحه يصح بعد جري اسمه"[2]. وبهذا يظهر لنا الفرق بينه وبين موضع آل عمران، فثناؤهم هنا مرتب على ما تحقق لهم مما وُعدوا به، وفي تلك كانت مدحاً من الله لهم، عطفاً على ما أخبر الله به من جزائهم، ولم يكن من قولهم. هذا ما ظهر لي، والله أعلم بأسرار كتابه.

## المسألة الثانية: (فَبِئۡسَ - وَبِئۡسَ [ٱلۡقَرَارُ ،ٱلۡمِهَادُ ، ٱلۡمَصِيرُ ] ):

وهي ثلاثة أنواع، بناءً على اختلاف فاعلها: فجاءت (بئس القرار) في موضعين: أحدهما بالفاء [ص: ٦٠]، والآخر بالواو [إبراهيم: ٢٩]، وجاءت (بئس المهاد)

[1] التحرير والتنوير 95/4.

[2] هذا ما فطن إليه الدماميني في شرح مغني اللبيب ص 808.

في أربعة مواضع: أحدها بالفاء [ص: ٥٦] وثلاثة بالواو: [آل عمران: ١٢ ،١٩٧، الرعد: ١٨]، وجاءت (بئس المصير) في عشرة مواضع: واحدٌ منها بالفاء [المجادلة: ٨]، وتسعة بالواو: [البقرة: ١٢٦، آل عمران: ١٦٢، الأنفال: ١٦، التوبة: ٧٣،الحج: ٧٢، الحديد: ١٥، التغابن: ١٠،التحريم: ٩، الملك: ٦].

ونسبةً لكثرة هذه الآيات الواردة بالواو، فقد اقتصرت على توجيه واحدة من كل نوع منها، مع توجيه كل ما ورد بالفاء[1]. وهذه من المسائل المهملة في كتب توجيه المتشابهات.

أما قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ ص: ٦٠: فهو من قول الأتباع لرؤسائهم في الكفر حين أُقحموا في النار؛ وسمعوا عبارة عدم الترحيب بهم، فواجهوا رؤساءهم بقولهم: أنتم أولى بعدم الترحيب منا؛ لأنكم أنتم الذي أوقعتمونا فيما أوصلنا لهذا المآل، ولذا رتّبوا عليه ذمهم لهذا القرار، أي: المقر، وهو جهنم. كأنهم يقولون لهم: فبئس ما أوقعتمونا فيه بسبب تزيينهم الكفر لنا. ولما كان هذا الكلام معللاً بما قبله صلحت له الفاء.

وأما الواو في نظيرتها: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ إبراهيم: ٢٩، فهي معطوفة على (يصلونها) أو حال من جهنم، أي: بئس القرار هي[2]. وعلى الوجهين فالواو هي الصالحة لها؛ إذ ليس فيها تعقيب ولا تسبيب.

[1] عثرت على هذه المسألة بعد الفراغ من البحث؛ فكان ذلك سبب اقتصاري على بعض مواضعها خشية التطويل.

[2] انظر: التحرير والتنوير 230/13

وأما التي فاعلُها (المهاد) فجاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ص: ٥٦ ، والفاء فيه؛ "لترتيب الإخبار وتسببه على ما قبله"، "والمعنى: جهنم يصلونها، فيتسبب على ذلك أن نذكر ذم هذا المقر لهم. وعبر عن جهنم ب(المهاد) على وجه الاستعارة: شبه ما هم فيه من النار من تحتهم بالمهاد، وهو فراش النائم"[1].

أما موضع آل عمران 12: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾: فقد "عُطف (بئس المهاد) على (ستُغلبون) عطف الإنشاء على الخبر[2]".

وأما التي فاعلُها (المصير)، فجاءت بالفاء في:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ المجادلة: ٨، لأنه "تفريع على الوعيد بشأن ذم جهنم"[3]. وفيه معنى التسبيب كذلك؛ لأن هؤلاء المنافقين استبطأوا عذاب الله، فبين الله لهم أنهم تكفيهم جهنم، فبئس المصيرُ مصيرهم هذا الذي سيصيرون إليه.

[1] التحرير والتنوير 285/23.

[2] التحرير والتنوير 3/ 176.

[3] التحرير والتنوير: 32/28.

وأما المواضع الأخرى التي جاءت بالواو فنذكر منها: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ البقرة: ١٢٦، فلم ترتبط بما قبلها ارتباط السبب أو التعقيب، وإنما جاءت الواو اعتراضاً أو للحال[1].

**المطلب الخامس: الماضي المجرد من الأدوات من غير أفعال المدح والذم، وهو ست مسائل:**

**المسألة الأولى: (وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ - فَٱتَّخَذَ)**

عُطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ الكهف: ٦١. وعُطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ الكهف: ٦٣.

أما الآية الأولى: فإن اتخاذ الحوت سبيلَه في البحر كان عقب نسيانهما؛ فناسبته الفاء الدالة على التعقيب والعطف، وأما الآية الأخرى: فقد حيل بينهما بقوله: (وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ)، فزال معنى التعقيب؛ فناسبه الواو[2].

[1] انظر: المصدر نفسه: 717/1.

[2] انظر: البرهان للكرماني ص 170.

وهنا لا بد من ملاحظة أن النسيان في الأولى غيره في الثانية: فمعنى نسيانهما الحوت في الأولى: أنهما نسيا أن يُراقبا حاله: أباقٍ في مِكْتله أم لا؛ لأن افتقاده جُعل علامة للقاء العبد الصالح، ولهذا كان انفلاتُه في البحر عقيب نسيانِهما تفقدَه، فكانت الفاء أنسب له. وأما النسيان الثاني فكان خاصاً بغلام موسى؛ لأنه نسي أن يخبر موسى عليه السلام –وقد كان نائماً –بانفلات الحوت في البحر، فهو يحكي قصة نسيانه، ثم عطف عليه اتخاذ الحوت سبيله في البحر[1].

## المسألة الثانية: (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ، فَنَجَّيْنَاهُ)

عُطفت بالواو في الصافات: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾. وعُطفت بالفاء في الأنبياء: ٧٦: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

لم أجد من ذكر وجه الواو والفاء في الآيتين. ولكي نتعرف على وجههما، علينا أولاً تدبر كل آية في سياقها الذي نزلت فيه: أما موضع الأنبياء، فإنه جاء في سياق نصر الرسل وصدق وعد الله لهم، وكانت الإشارة لذلك بدءًاش من قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنبياء: ٩، ثم بيّن عاقبة المستهزئين بالرسل: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١، ثم ذكر

[1] انظر: التحرير والتنوير 366/15 و367.

من قصص الأنبياء ما يدل على نجاتهم ونصرهم وتحقيق وعد الله بإهلاك المكذبين، ثم ذكر نداء نوح عليه السلام ، أي: دعاءه ربّه، فبين استجابته له حين دعا، ثم عقب ذلك بذكر نجاته. أي: إن استجابته له كانت بسبب دعائه، ونجاتُه كانت عقب الاستجابة له. فأنت ترى أن المقصود من هذه الآية هو صدقُ وعدِ الله لنبيه نوح عليه السلام، فكانت الفاء هي التي تدل على هذا التعقيب.

وأما آية الصافات: فإنها جاءت في سياق ضلال أكثر الأولين، وكيف كانت عاقبتُهم حين كذبوا من أنذروهم، وكيف كان عاقبة المخلصين من الرسل وأتباعهم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾. وبدأ بقصة نوح عليه السلام، وذكر نداءه، وفخّم أمره؛ إذ نسبه إلى نفسه بنون العظمة (ئد ). وهو يخالف ما ذُكر في الأنبياء: (وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ )، فلم ينسبه هناك لنفسه. ثم فخم أمر الإجابة بقوله: (ى يـ )، وكان في الأخرى (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ). قال الإمام الرازي: "وهذه اللفظة [أي: فلنعم المجيبون] تدل على أن تلك الإجابة كانت من النعم العظيمة"، وذلك أنه عبّرَ عنه بصيغة الجمع (نَادَىٰنَا)، وأعاده بذات الصيغة: (فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ )، وأنّ الفاء دلّت على ترتب الإجابة على ذلك النداء[1]. ووجوه الإنعام دلت عليها الآيات بعدُ: وهي نجاتُه وأهلِه من الكرب العظيم، وحَصرُ العالَمِ في ذريته، وتبقيةُ ذكرِه الحسن في ألسنة العالمين[2].

[1] انظر تفسير الرازي: 144/26 و145.

[2] انظر: المصدر نفسه 146/26.

وبهذا يظهر لنا: أن المقصود في الصافات هو تعداد هذه النعم العظيمة، فكانت الواو هي التي تؤدي ذلك، وأما في الأنبياء، فقد جاءت القصة مُقتضَبة في سياق استجابة الله لدعاء رسله. وثَمة فرقٌ آخر يظهر بين الموضعين: وهو اختلاف الفعلين في الصافات: (نِعمَ) و(نجيناه)، فالأول فعلٌ جامدٌ، وقد فصل فاعلُه بينهما، بخلاف موضع الأنبياء، فإنه عُطف على (فاستجبنا)، وهو فعل مثلُه غير جامد، ولم يُفصل فيه بين المتعاطفين، مما حسّنَ عطفه عليه بالفاء. والله أعلم بأسرار كتابه.

**المسألة الثالثة: (وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم - فَتَقَطَّعُوٓاْ )**

عُطفت بالواو في الأنبياء: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ٩٣ ﴾، وعُطفت بالفاء في المؤمنون: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ علينا أولاً أن ننظر في سياق الموضعين، ثم ننظر بمَ وجّه به الموجّهون؟ أما السياق فيتضح لنا مما يأتي:

**أولاً**: في سورة الأنبياء، ذكر الله أخبار الأنبياء بعد ما مهّد لهم بآيات مجملة؛ تسليةً لرسوله محمد، صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء. وهذه الآيات المُمهدة هي: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٧، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥، ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١. ثم ذكر الأنبياء حتى ختمهم بعيسى عليه السلام. ثم بين الحق –

سبحانه –وحدة هذه الدين لجميع هؤلاء الرسل وأممهم، بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ بمعنى: أنهم جميعاً مأمورون بتوحيد الله وحده وإخلاص العبادة له. ثم عطف عليه بالواو: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾.

**ثانياً**: في سورة المؤمنون: ذكر الله عدداً من الأنبياء، حتى ختمهم بعيسى (صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً)، ثم خاطب الله جميع الرسل وأمرهم أن يأكلوا من الطيبات ويعملوا صالحاً، وأنه بما يعملون عليم، ثم عطف عليه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ المؤمنون: ٥٢، ثم عطف عليه بالفاء: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾. ولاحظ: أن هذه زيدت فيها كلمة (زُبُراً)، وخلا منها موضع الأنبياء، وأن الآية السابقة لهذه جاء الأمر فيها بالتقوى، وفي تلك الأمرُ بالعبادة.

ومن هنا يتضح الفرق بين السياقين: فإن إخبار الرسل لأقوامهم بأن هذه أمتكم أمةً واحده، لم يأت مصرحاً به أنه من قول الرسل في سورة الأنبياء. ولهذا عطف تقطع أممهم وتفرقهم عن دين التوحيد بالواو؛ لأن منهم من تفرق قبل إخبار الرسل: منهم من عبد الله وحده، ومنهم من عبد معه غيره، وبعضهم لا يعبده، فلم يكن ما بعد الواو مرتباً على ما قبلها؛ فلم تصلح له الفاء[1]. وأما موضع (المؤمنون): فإن الخطاب للرسل، وأقوامُهم تبعٌ لهم في الخطاب، فلما بينوا لأقوامهم أن دينهم هذا هو دين التوحيد، الذي لا يصح غيرُه، ما لبث قومهم أن تفرقوا، واتخذوا آلهة من دون الله.

[1] انظر: درة التنزيل، للخطيب 304.

فالفاء هنا تفيد التعقيب، الذي يُفهَم منه ذمهم عليه. وهي أيضاً "قد تفيد معنى التفريع: أي: فتفرع على ما أمرناهم به من التوحيد: أنهم أتوا بعكس المطلوب منهم، فيفيد الكلام -زيادةً على الذم -تعجيباً من حالهم[1]".

ومن خلال ما ذُكر في السياق قريباً، نلحظ: أن آية الأنبياء ذُكر فيها تقطع الأمم وتفرقهم في دينهم، ولم يزد، وفي

(المؤمنون) بيَّن كيفية التقطع بكلمة (زُبُراً). وفي ذلك ملمح لطيف: وهو أنّ الأمم المذكورة في سورة الأنبياء هي جميع الأمم، وأن تفرقهم كان بعضه قبل إرسال الرسل، وبعضه بعده، ولم يكونوا جميعاً أهل كتاب، حتى تكون لهم كتب يتفرقون بسببها. وأما موضع (المؤمنون) فقد جاء بعد خطاب الرسل، وكان منهم أهل كتاب؛ فلما جاءهم الرسل بالدين الحق ما لبثوا أن فرقوا دينهم، بسبب إيمان بعضهم ببعض الكتب دون بعض، فأهل التوراة يكفرون بما في الإنجيل والقرآن، وأهل الإنجيل يكفرون بما التوراة والقرآن[2]. ولهذا فإني أرجح أن المقصود من هؤلاء الذين فرقوا دينهم زُبُراً، هم أهل الكتاب. وكان تفرقهم عقب إخبار الرسل لهم بأن أمتهم أمة واحدة، فصلحت فيه الفاء. ومما يشهد لذلك: أن الأولى جاء فيها الأمر بالعبادة؛ لأنها كانت عامة لجميع الأمم، وكلهم مأمورون بعبادة الله وحده، وأن الأخرى جاء الأمر فيها بالتقوى (فاتقونِ)؛ خطاباً للرسل ومتبعيهم من المؤمنين؛ لأن الذين فرقوا دينهم كانوا مؤمنين؛ فهم أهل كتاب، فلم يؤمروا بالتوحيد، وإنما أُمروا بالتقوى. وهذا كله من دقة التعبير القرآني. والله أعلم.

[1] التحرير والتنوير 72/18.

[2] انظر: درة التنزيل 306.

**المسألة الرابعة: (♦ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ - فَقَالَ )**

جاءت الواو في موضعين: **الأول**:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ الأعراف: ٩٠، **والثاني**: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ المؤمنون: ٣٣.

وجاءت الفاء في موضعين: **الأول**: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ هود: ٢٧، **والثاني**: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون: ٢٤.

أما في الأعراف: فإنه معطوف على ما قبله، وهم الملأ من قوم شعيب: فبعد انتهاء محاورتهم لنبيهم أقبلوا على عامة قومهم يحذرونهم من اتباع شعيب، بعد أن أعيتهم المجادلة ورأوا سطوع دعوته، فأرادوا بذلك صد عامتهم عن دعوته، مهددين لهم بالخسارة[1]. ولهذا عُطف بالواو، ولم يُفصل، أي: لم يُحذف منه حرفُ العطف؛ لأنه ليس داخلاً في محاوراتهم، ولم تصلح له الفاء؛ لعدم ترتبه عليه أو تسببه عنه.

[1] انظر: التحرير والتنوير 12/9.

وأما موضع المؤمنون الأول [آ 24]: فقد جاء مخالفاً لأسلوب القرآن في حكاية المحاورات بغير العطف[1]؛ فعُطِف بالفاء لوجهين: -كما يقول صاحب التحرير والتنوير -**أحدهما**: أنّ كلامهم لم يُوجّه لنبيهم، وإنما وجّهوه لقومهم، **وثانيهما**:

لأنهم أسرعوا بتكذيبه وتزييف دعوته قبل النظر؛ فكانت الفاء مفيدة لهذا التعقيب[2].

وفي موضع المؤمنون الثاني [آ 33]: عُطفت حكاية قول القوم على حكاية قول رسولهم بالواو، فخالفت أسلوب القرآن في حكاية المحاورات التي تكون بغير حرف العطف؛ وذلك لأنهم وجّهوا الكلام لقومهم، محاولين صدهم عن دعوة نبيهم. وإنما كان بالواو دون الفاء؛ لأن قولهم هنا كان متأخراً عن وقت مقالة رسولهم، أي: حينما استمرّ نبيُّهم في دعوته وجهوا مقالتهم لقومهم، ولأن كلام رسولهم لم يُحكَ بصيغة القول، بل بـ(أنْ) التفسيرية[3]: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ المؤمنون: ٣٢، أي: لم يناسبه حذف حرف العطف، كما في أسلوب المحاورات.

وأما موضع هود [27]: فعُطف بالفاء على فعل (أرسلنا)؛ للإشارة إلى أنهم بادروه بالتكذيب والمجادلة الباطلة لَمّا قال لهم (إني لكم نذيرٌ مبينٌ) [4].

---

[1] يرى ابن عاشور: أن حرف العطف يُحذف في حكاية المحاورات في القرآن. وقال: "وهذا مما لم أُسبق إلى كشفه من أساليب الاستعمال العربي". [التحرير والتنوير 401/1].

[2] انظر: التحرير والتنوير 41/18.

[3] انظر: المصدر نفسُه 51/18.

[4] انظر: المصدر نفسه 45/12.

**المسألة الخامسة: (•وَأَقْبَلَ - •فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ)**

عطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ بالصافات: ٢٧، وبالطور: ٢٥. وعطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ الصافات٥٠، وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾ القلم: ٣٠.

أما موضع الصافات الأول، فمعطوف على (پ ) من قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ الصافات: ٢٦ ، أي: استسلموا وعاد بعضهم على بعض باللائمة[1]. وهذا مجرد عطف لأحوالهم في ذلك اليوم؛ فناسبه الواو.

وأما موضع الصافات الثاني: فمعطوف على (ئو ) من قوله تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ الصافات: ٤٥، أي: يشربون فيتحادثون على الشراب[2]. وكان العطف بالفاء الدالة على التفريع؛ لأن شأن المتجالسين في مسرة أن يتذاكروا مع أصحابهم، وهؤلاء حين رأوا ما صاروا إليه من النعيم، تذكروا المجادلين لهم من منكري البعث؛ فحدثوا بذلك جلساءهم؛ فحكى الله إقبال بعضهم على بعضٍ بالمساءلة بفاء التعقيب[3]. أي: إن إقبال بعضهم على بعض بالمساءلة كان عقب تذكرهم لأحوالهم في الدنيا، وأحوال من يجادلونهم، فكانت الفاء هنا هي التي تفيد ذلك.

[1] انظر التحرير والتنوير 103/23.
[2] انظر تفسير أبي السعود 191/7.
[3] انظر التحرير والتنوير 115/23.

وشبيهٌ بهذا موضع القلم: فهو من كلام أصحاب الجنة باليمن، لما رأوها كالصريم، وندموا على ما كان منهم، ووصف الله حالهم وتحسرهم، ثم وصف إقبال بعضهم على بعض بالملامة[1].

وهذه المسألة أغفلتها المصادر الموجِّهة للمتشابهات اللفظية، ولم يذكرها إلا صاحب البرهان، وفاته موضع الطور؛ فلم يذكره. ولتوجيهه: ننظر إلى سياق الآيات قبله، فنجد أن قوله تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ **الطور: ٢٤، معطوف على:** ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ **الطور: ٢٣.** قال ابن عاشور: "فهو من تمامه وواقع موقع الحال مثله"[2]. وهو يرى كذلك أن قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ **عطف على:** ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا ﴾، والتقدير عنده: "وقد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، أي: هم في تلك الأحوال قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون"[3]. وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذه الواو عاطفة لهذه الأحوال بعضها على بعض. وبهذا يتبين لنا: أن الواو هنا أنسب من الفاء؛ إذ ليس في إقبال بعضهم على بعض من تعقيب ولا ترتيب ولا تسبب مما قبله، فلم تصلح له الفاء. وتساؤلهم هنا تساؤل غبطة وسرور بما نجاهم الله منه مما كانوا منه مشفقين في الدنيا. وهذا التساؤل يصدر من كل واحد منهم، أي: يكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً[4]. وهذا هو الفرق بين ما هنا وموضع الصافات الثاني، الذي جاء فيه معطوفاً بالفاء، رغم تشابه الحالتين في

---

[1] انظر: البرهان للكرماني 213.

[2] التحرير والتنوير 54/27.

[3] المرجع نفسه 56/27.

[4] انظر هذا المعنى في تفسير أبي السعود 149/8.

النعيم، أعني: أن موضع الصافات كان السؤال فيه عن أشخاص معينين، فالسائل غير المسؤول: ألا ترى أنه أخبر عمن كان يصده عن الإيمان؟ وليس سؤال الآخر له كهذا؛ لاختلاف الأحوال. وأما في الطور فالجميع سائل ومسؤول؛ لأنهم متساوون في خشيتهم وإشفاقهم من هذا اليوم، عندما كانوا في الدنيا، وكلهم مسرورون بما هم فيه من النعيم. هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

**المسألة السادسة: (وَقَالَ - فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ)**

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ ص: ٤.

وبالفاء في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ ق: ٢.

أما في ص: فقد قُصد به الإخبار بجملة من مرتكبات الكفار: منها: أنهم في عزة وشقاق، ومنها عَجَبُهم من مجيء منذر من جنسهم، ومنها رميُهم له بالسحر والكذب، ومنها تعجبهم من جعل الآلهة إلهاً واحداً وغيرها. فلما كان القصد منها الإخبار، جاءت معطوفة على بعضها بالواو، التي لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً[1]. وأما في ق: فإنه تفسيرٌ لتعجبهم، وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار، مع زيادة تفصيل لمحل التعجب؛ فعُطف بالفاء؛ لوقوعه بعده وتفرعه عليه؛ لأنه إذا أنكر المبعوث أنكر ما بُعِث به أيضاً[2]. وعليه: فاتصاله بما قبله في سورة ص معنوي، "وهو: أنهم

[1] انظر: ملاك التأويل 414/2.

[2] انظر: روح المعاني للآلوسي 172/26.

عجبوا من مجيء المنذر، وقالوا: هذا المنذر ساحر كذاب، واتصاله في (ق) معنوي ولفظي، وهو: أنهم عجبوا فقالوا (هذا شيءٌ عجيب)؛ فراعى المطابقة والعجز والصدر، وختم بما بدأ به، وهو النهاية في البلاغة"[1].

***المبحث الثالث: ما جاء فيه بعد الواو والفاء فعلٌ مضارع***

وهو إما مسبوقٌ بأداة نهي أو نفي، أو شرط، أو مجردٌ عنها، فانتهى إلى أربعة مطالب:

**المطلب الأول: ما سبقته أداة نهي، وهو مسألتان:**

**المسألة الأولى: ( وَلَا تُعْجِبْكَ - فَلَا تُعْجِبْكَ )**

عطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ التوبة: ٥٥. وعطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ التوبة: ٨٥ .

الآية الأولى مسبوقة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ التوبة: ٥٤، فهي تصف أحوال

[1] البرهان للكرماني، ص 216، وانظر فتح الرحمن لزكريا الأنصاري ص 486.

المنافقين في كفرهم: كيف أنهم لا يأتون الصلاة إلا على كسل، ولا ينفقون إلا على إكراه، فهي تتحدث عن قوم أحياء، لأن الأفعال (يأتون) و(ينفقون) مستقبلة؛ ولهذا تضمنت معنى الشرط، فكان ما بعد الفاء بمعنى الجزاء، كأنه قيل: إن اتصفوا بهذه الصفات من الكسل في الصلاة وكراهية النفقات، فلا تعجبك أموالهم.

وأما الآية الأخرى فمسبوقة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ التوبة: ٨٤: فهي في قوم أموات، يدل عليه قوله (وماتوا)؛ ولهذا لم يكن فيها معنى الشرط حتى يكون ما بعد الفاء جزاءً له، فناسبه الواو، ولا يصلح له الفاء[1].

**المسألة الثانية: ( وَلَا يَحْزُنكَ - فَلَا يَحْزُنكَ )**

عطفت الجملة بالواو في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يونس: ٦٥، وعطفت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ يس: ٧٦.

في سورة يونس: هي معطوفة على قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يونس: ٦٢.

[1] هذا ملخص ما وجهوا به: انظر: درة التنزيل للإسكافي ص198 وما بعدها، وملاك التأويل لابن الزبير 231/1، والبرهان للكرماني ص 135، وكشف المعاني لابن جماعة ص 196، وفتح الرحمن لزكريا الأنصاري ص 232.

وذلك أن الله تعالى نفى عن أوليائه الخوف والحزن، ولمّا كان نبيُّه المصطفى هو أخص أوليائه تعالى، أراد أن يبين له طريق التخلص من الحزن العارض له بسبب هموم الدعوة، فنهاه أن يحزن لقولهم، الذي فيه تكذيبُهم له وإعراضُهم عن دعوته، وذلك حتى يكتمل له ما وعد اللهُ به أولياءه من عدم الخوف والحزن.

ويرى صاحب التحرير والتنوير[1]: أن مقتضى الظاهر أن يُعطف عليه بفاء التفريع؛ لأن دفع هذا الحُزن يتفرع على ذلك النفي، ولكن عُدل عنه إلى العطف بالواو؛ ليُعطي مضمون الجملة المعطوفة استقلالاً بالقصد إليه؛ فيكون ابتداء كلام مع عدم فوات معنى التفريع؛ لظهوره من السياق. وذكر في روح المعاني قول من جعله معطوفاً على تلك الآية التي ذكرناها، ثم قال: "لكنه ليس بشيء"، ثم ذكر أن ما عليه الجمهور: أنه استئناف سيق تسليةً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، عما كان يؤذيه من مقالاتهم الفاسدة، وتبشيراً له بالنصر والعز. وهو يقصد بالاستئناف انقطاعه لفظاً؛ لأنه يقر باتصاله به معنى[2]. وهو عين ما عناه صاحب التحرير والتنوير باستقلاله قصداً. والله أعلم.

وأما في يس: فيرى الطِّيبي اتصال الفاء بقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ ﴾ يس:٦٩؛ لأنه جواب من زعم أن القرآن شعر، وأن النبي شاعر. ووجه ارتباطه به: أنه تسلية لرسوله الكريم؛ ليتأسى بربه تعالى؛ فإنه تعالى أغدق عليهم النعم وأراهم الآيات العظيمة الدالة على تفرده، ومع ذلك أشركوا معه غيره، فإذا كان كذلك فلا يحزنك قولهم[3]. وذهب ابن عاشور إلى أنه مفرّع على قوله: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ

[1] انظر ما قاله ابن عاشور: 220/11.

[2] انظر ما قاله الآلوسي: 152/11.

[3] انظر: فتوح الغيب 93/13.

﴿ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ يس: ٧٤: بمعنى: تحذيره من أن يحزن لأقوالهم فيه؛ فإنهم قالوا في شأن الله ما هو أفظع[1]. أي: إن كانوا قد اتخذوا آلهة من دون الله، فهذا يعني أنهم يقولون: إن آلهتهم شركاء لله، وهذا أفظع من قولهم للنبي: إنه شاعر، وإذا كانوا كذلك لا يتأدبون مع ربهم فلا يحزنك قولهم. ويمكن أن يُقال: إن اتخاذهم آلهة من دون الله يعني: أنهم يقولون: هؤلاء آلهتنا، وهم يطلبون منهم النصر، وكان ذلك مما يُحزن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فنهاه ربه ألا يتأثر لقولهم ولا يحزن. وكل هذه الأقوال محتملة، وكلها تؤكد ارتباطها بما قبلها، الذي لا يصلح له إلا الفاء. هذا ما وقفتُ عليه من توجيه هذه المسألة، وقد أهملتها سائر ما اطلعتُ عليه من المصادر التي عناية بتوجيه المتشابهات اللفظية.

**المطلب الثاني: ما سبقته أداة نفي، وهو مسألتان:**

**المسألة الأولى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ - أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾**

عُطفت بالفاء في: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ طه: ١٢٨.

وعُطفت بالواو في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ السجدة: ٢٦

[1] انظر: التحرير والتنوير 72/23.

أما موضع طه فقد جاء قبله قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾. ومعنى نسيان الآيات ترك الاهتداء بها، ثم قررهم على نصبه لهدايتهم واحتج عليهم بتركهم الاهتداء بها بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾، أي: من تأته آياتنا فعليه الاهتداء بها، وأنتم أتتكم آياتنا فلم توفوها حقها، فهلا فعلتم ما لزمكم منها؟ هذا ما ذهب إليه في درة التنزيل[1]، فهو يرى أن الاستفهام تقريري. وذهب صاحب التحرير والتنوير[2] –بعد أن بين أنه تفريع على هذا الوعيد المتقدم –إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي "مفرّعاً على الإخبار بالمعيشة الضنك لمن أعرض عن توحيد الله؛ لأنه سبب عليه لا محالة، تعجيباً من حالة غفلة المخاطبين المشركين عما حلّ بالأمم المماثلة لهم في الإشراك والإعراض عن كتب الله وآيات الرسل". ويرى أبو السعود أنه كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ﴾، وأن الفاء عطف على مقدّر يقتضيه المقام، أي: أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم، أو أفلم يبين لهم مآل أمرهم كثرةُ إهلاكنا للقرون الأولى[3]؟ وذهب في ملاك التأويل إلى أنه مستأنف كذلك، ورَدَ مَورِد ما يرِد من الكلام التفاتاً، إلا أنه يُقر بارتباطه بما تقدمه من جهة المعنى، غير أنّه ينكر أن تكون الفاء فيه للعطف[4]. وقد عرفنا في التمهيد: أن الاستئناف يقصدون به انقطاع الكلام مما قبله لفظاً لا معنى،

[1] انظر: ص 296 و297.

[2] انظر: 334/16.

[3] انظر تفسير أبي السعود 48/6.

[4] انظر: ملاك التأويل 342/2و343.

وقد مر بنا كذلك تحقيق ابن هشام: أنّ الفاء في ذلك كله للعطف. ومن كل ما سبق يتبين لنا ارتباط الكلام بما قبله، مما لا يصلح له إلا الفاء.

وأما في آية السجدة، فليس فيها هذا الارتباط بما قبلها: إذ الآيات قبلها تتحدث عن إتيان موسى –عليه السلام –الكتاب، وجعله هدىً لهم، و أنه جَعَل منهم أئمة يهدون بأمره، وأنه يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه؛ فكان منفصلاً مما قبله فجيء بالواو[1]. غير أن انفصاله مما قبله لا يعنى عدم وجود علاقة بما قبله، فما هي هذه العلاقة؟ يرى صاحب التحرير والتنوير[2] أنه عطفٌ على: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ السجدة: ٢٢. وبيان ذلك باختصار: أن هذه الآية أوضحت ألا أظلم ممن أعرض عن التذكير، وهنا جاء قول الحق بأسلوب الاستفهام الإنكاري: أوَلم يبين لهم كثرة من هلك قبلهم من الأمم، فيعتبروا بهم؟ يعني: قد جاءهم ما يذكرهم ويهديهم، ولم يعتبروا. وإذا كان ذلك كذلك، فإن الآيات التي تحدثت عن بني إسرائيل ليست بمعزل عن هذا، لأنها تحدثت كذلك عما جاءهم من الهدى، فالكلام كله متصل بعضُه ببعض، إلا أنه لا يصلح فيه هنا إلا الواو، كما ترى. والله أعلم.

**المسألة الثانية: (﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ - أَفَلَمْ يَسِيرُواْ )**

عُطفت بالواو في ثلاثة مواضع: **الأول**: قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً

[1] انظر: درة التنزيل 297.
[2] انظر: 239/21.

وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ الروم: ٩، **والثاني**: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ﴾ فاطر: ٤٤.

**والثالث**: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ غافر: ٢١.

وعُطفت الجملة بالفاء في أربعة مواضع: **الأول**: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف: ١٠٩. **والثاني**: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ الحج: ٤٦. **والثالث**: قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ غافر: ٨٢. **والرابع**: قوله تعالى:﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ

﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴾ محمد: ١٠.

وتوجيه ذلك بصورة عامة: أن كل موضع يكون مرتبطاً بما قبله جواباً له أو مبنياً عليه، فهو بالفاء. وكل موضع لم يصلح ما قبله أن يكون ما بعده جواباً له ولا مبنياً عليه، فهو بالواو. ويرى الخطيب: أنّ المواضع التي لم يتقدمها ما يقتضي الدعاء إلى السير والبعث على الاعتبار فإنها تكون بالواو، وأما التي تقدمها ما يقتضي ذلك فإنها تكون بالفاء: ففي سورة يوسف تقدمها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾، أي: "لم يكونوا إلا رجالاً أُرسِلوا إليه فخالفوهم، فاعتبروا أنتم بآثارهم ومشاهدة ديارهم"[1].

"أي: فإن شاء هؤلاء فليسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ممن تقدمهم، فالكلام من حيث معناه، في قوة الشرط والجزاء؛ فورد بالفاء"[2].

وكذلك في الحج هو بعد قوله: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴾ الحج: ٤٥. وقد تقدمتها آيات تذكر بقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم. والمعنى: "فهلا ساروا في الأرض قاصدين الاعتبار، فعقلوا بقلوبهم وانتفعوا بأسماعهم وأبصارهم"، فناسبته الفاء؛ لما تعطيه من السببية والارتباط[3].

[1] انظر: درة التنزيل ص 242 و243.

[2] ملاك التأويل 270/2.

[3] المصدر نفسه.

وأما الموضع الوارد في آخر غافر، وهو بالفاء كذلك، فقد تقدمه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ غافر: ٧٨ ، فهو في وصف من بُعث من الأنبياء ومجيء أمر الله فيمن خالفهم[1].

وأيضاً جاء قبلها: ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ غافر: ٨١، فيكون قوله تعالى (أفلم يسيروا) حثاً على السير في الأرض للاعتبار بما فيها[2].

وأما موضع سورة محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يتقدمه شيء من آيات الاعتبار، كما في الآيات السابقة، ولذا وجّهه صاحب درة التنزيل بأنه تقدمته آيات تبين "أن أولياء الله منصورون، وأن الكفار مخذولون؛ فليعتبروا بمن تقدمهم في الكفر؛ ليعلموا أنهم صائرون إلى مثل حالهم"[3]. "فالملائم هنا الفاء؛ لما في الكلام من معنى التسبب والتخصيص المُحرزين هنا ما يلائم ويناسب مرتكبهم من التوبيخ، فالموضع للفاء المقصود بها ربط الكلام بما قبله"[4].

وقد ظهر لنا ارتباط الآيات في المواضع السابقة بما قبلها، ولهذا استوجبت الفاء.

أما المواضع التي سُبقت بالواو فلم يكن قبلها ما يصير جواباً له. وبيانه –باختصار– كالآتي:

في سورة الروم: عُطِفت على قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الروم: ٨؛ وهو عطف يفيد التشريك في الحض على الاعتبار، ولا سببية فيه؛ فناسبته

[1] انظر درة التنزيل ص 244.

[2] انظر: ملاك التأويل: 270/2.

[3] درة التنزيل ص 244.

[4] ملاك التأويل: الصفحة نفسُها.

الواو[1]. وفي سورة فاطر: عُطفت على قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ ﴾ فاطر: ٤٣؛ لاشتراكهما في الاعتبار مع اتحاد النوع المعتبر به ، فناسبته الواو كذلك[2].

وأما الموضع الأول من غافر: فلم يتقدمه ما يدل على ارتباطه به إلا قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ غافر: ١٣، لأن من آياته ما أجراه من سنته في الأمم الماضية[3]، إلا أنه قد فصل بينهما آيات كثيرة، فكان المناسب عطفه بالواو؛ لعدم ظهور الارتباط بما قبله.

**المطلب الثالث: المضارع الذي دخلته أداة شرط**

**وهو مسألة واحدة: (وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ -فَإِن يَكُن )**

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾ الأنفال:٦٥.

[1] انظر: ملاك التأويل 271/2.

[2] انظر: المصدر نفسه.

[3] انظر: ملاك التأويل 271/1.

وجاءت بالفاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الأنفال: ٦٦.

لم أجد من أشار لهذه المسألة في المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات. والأمر فيها واضح يظهر لنا بقليل من التدبر في سياق الآيات، وبما ذكره أهل التفسير: فقد أمر الله نبيّه الكريم بتحريض المؤمنين، ووعده وعداً كريماً أن تغلب كل جماعة من المؤمنين عَشر أمثالها من الكفار[1]. وبيَّن ذلك بذكره مجموعتين من المؤمنين مع مجموعتين من الكفار: عشرون في مقابلة المائتين، ثم مائة في مقابلة الألف. وقد فُهم من المجموعة الأولى: أن الواحد في مقابلة العشرة، ولكنه كرره مع المائة: "للدلالة على أن الحال مع الكثرة والقلة لا يختلف، فكما تَغلِب العشرون المائتين، تغلبُ المائة الألف"[2].

ولهذا كان عطف المجموعة الثانية لهذا الغرض؛ فليس فيه أكثر من العطف، الذي تصلح له الواو.

ثم إن وعده –تعالى –بنصر كل جماعة مقابل عَشر أمثالها، يتضمن إيجاب ألا تفرّ الجماعة من عَشر أمثالها؛ فثقل ذلك على المسلمين، فخفف عنهم بقوله تعالى:﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ﴾، ثم فسر لهم كيفية التخفيف[3]، فأفادت الفاء تفريع التشريع على التخفيف[4]. كأنه قيل: إن شق عليكم

[1] انظر: تفسير أبي السعود 34/4.

[2] فتح الرحمن لزكريا الأنصاري ص 223.

[3] انظر: تفسير أبي السعود 35/4.

[4] انظر: التحرير والتنوير 71/10.

الصبرُ أمام العشرة، فقد خفف الله عنكم، فإن يكن منكم جماعة عددهم مائة فإنهم يغلبون مائتين، أي: إن الجماعة ينبغي ألا تفرّ من مثليها. وهذا ظاهر أنه موضع الفاء. والله أعلم.

**المطلب الرابع: المضارع المجرد من أدوات النهي والنفي**

**المسألة الأولى: (وسيرى اللهُ، فسيرى)**

عُطفت بالواو في التوبة: ٩٤: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ، وعُطفت بالفاء في التوبة: ١٠٥: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

ذهب في ملاك التأويل إلى أن الآية الأولى في المنافقين، والأخرى في جماعة من المؤمنين كان فيهم تقصير، وقيل: فيمن تاب من المخلفين. فالآية الأولى جاء قبلها: ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾، وهذا تهديد لهم بأن الله مطلع على نفاقكم وسرائرهم، ثم عُطف عليه تهديدٌ مثله، وهو قوله: (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ )، "وقُصد تعريفهم بالمجموع مما

استوجبوا به المقت، ولم يُعطف بالفاء؛ إذ ليس ما تُعطيه من المعنى مقصوداً هنا"[1].

وأقول: إن سياق الآيات يدل على أن هذه الآيات في جماعة من المنافقين، علِم اللهُ أنه سيموتون على نفاقهم؛ بدليل الآيات اللاحقة التي بينت أن مأواهم جهنم، ومن كان كذلك، فلا يُرجى إيمانُه. ولهذا كان قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ تهديداً لهم، أي: اعملوا ما تعملون من أعمال النفاق، وسيرى الله أعمالكم هذه وكذا رسولُه، فلن تستطيعوا إخفاءها عن الله ورسوله، وإن خفيت عن المؤمنين؛ ولهذا لم يُشرِك المؤمنين في رؤية عملهم؛ لأنها من أعمال القلوب التي لا يطلع عليها إلا الله وحده. وبهذا يظهر لنا كيف أفادت الواو إشراك الجملتين في التهديد.

وما ذكره العلّامة ابن عاشور: من أن المقصود: فتحُ باب التوبة لهم، لا يُساعِد عليه السياق، ولو كان كذلك لصلحت فيه الفاءُ، وهي كذلك في شرحه بالفاء؛ ولعله خطأ طباعي؛ إذ الظن به ألا يغفل عن مثل هذا[2].

وأما الآية الأخرى، فهي في جماعة من المؤمنين، تُرجى توبتُهم، بدليل ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ التوبة: ١٠٢. ولهذا لم يكن قوله (وقل اعملوا) في معنى التهديد، كما في الآية الأولى، وإنما هو أمرٌ لهم بالعمل لتلافي ما قصّروا فيه من بعض ما أمِروا به، من الجهاد وغيره. فلما كان هؤلاء يُرجى إيمانُهم رتب عليه رؤية المؤمنين لأعمالهم مع رؤية الله ورسوله؛ لأن أعمال المؤمنين مرئية،

[1] انظر: ملاك التأويل 233/1 و234.

[2] انظر: تفسير التحرير والتنوير 7/11.

وليست كالنفاق؛ ولهذا أشركهم في الرؤية بخلاف أعمال النفاق في الآية السابقة، كما مر. وعليه: فالفاء في (فسيرى) جوابٌ للأمر من قوله (اعملوا)، "وكأن قد قيل تأنيساً لهم: اعملوا فلن يضيع عملكم"[1].

**المسألة الثانية: (وَيَقُولُ - فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ)**

جاءت بالواو في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ النحل: ٢٧ .

وجاءت بالفاء مكررةً في موضعين بسورة القصص٦٢و ٧٤: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾.

هذه من المسائل المهملة في المصادر المُوَجِّهة للمتشابهات.

أما الآية الأولى في سورة النحل، فقد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، وفيها بيَّن الله عاقبة الماكرين قبلهم، وضرب لأهل مكة مثلاً على مكرهم، بمن بنوا بنياناً فخرّ عليهم السقف، ثم بين أنهم أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، وهو عذاب في الدنيا، بدليل ما عُطف عليه من قوله تعالى: (ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ )، أي:

[1] ملاك التأويل 233/1 وما بعدها.

يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الأشهاد، ويقول لهم فضحاً لهم وتوبيخاً: أين شركائي...؟ [1].

وهذا القول لهم إنما هو نوع من العذاب كذلك؛ لما فيه من الفضيحة والتوبيخ. ويظهر من هذا: أن المقصود هو تعديد هذه الأصناف من العذاب عليهم، فكانت الواو هي الأنسب لذلك.

وأما الآيتان المكررتان في سورة القصص: فقد جاءتا بعد قوله: (ويوم يناديهم)، والنداء إنما يكون بالقول، ولهذا جاء مفسراً له، فكانت الفاء هي المناسبة له. هذا ما ظهر لي، ولم أجد من نبه عليه، والله أعلم.

**الفصل الثاني: ما جاء فيه بعد الواو والفاءِ اسمٌ**

وهو إما اسم موصول، أو أداة تكثير، فانتظم في مبحثين:

***المبحث الأول: ما جاء فيه بعد الواو والفاء اسم موصول***

واسم الموصول إما أن يكون مبدوءً به وإما أن يكون مُصَدَّراً بأداة، فهما مطلبان:

**المطلب الأول: ما جاء فيه اسم الموصول مبدوءً به.**

وهما مسألتان:

**المسألة الأولى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ – فَمَنْ أَظْلَمُ)**

عُطفت الجملة بالواو في خمسة مواضع:

[1] انظر: تفسير أبي السعود 108/5.

**الأول:** ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ الأنعام: ٢١. **الثاني:** ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأنعام: ٩٣. **الثالث:** ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ هود: ١٨. **الرابع:** ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٨.

**الخامس:** ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الصف: ٧.

**وعُطفت بالفاء في أربعة مواضع:**

**الأول:** ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ١٤٤. **الثاني:** ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ

ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف: ٣٧.

**الثالث:** ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ يونس: ١٧. **الرابع:** ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ الكهف: ١٥.

اقتصر معظم الموجهين على المقارنة بين موضع الأنعام الأول [آية 21]، وبين موضع يونس. وذلك لأن التشابه اللفظي بينهما أكبر من غيرهما؛ إذ لم يختلفا إلا في الواو والفاء، وفي كلمتي (الظالمون) و(المجرمون). ورغم أن صاحب ملاك التأويل ذكر معظم المواطن التي ذكرتُها، ولم يفُته سوى ثلاثة: [هود 18، الأنعام 144، الكهف 15]، إلا أنه –رحمه الله –لم يُبيّن وجهَ وردوهما بالواو والفاء.

وسأبدأ بذكر وجه الاختلاف بين موضعي يونس والأنعام 21؛ ثم أُتبعه بما يظهر لي –بعون الله وتوفيقه –ببقية المواضع.

أما آية الأنعام [21]: فقد تقدمتها جملٌ عُطف بعضها على بعض بالواو، لا تتعلق كلٌّ منها بما قبلها تعلقَ ما هو من سببها: (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا ٱلۡقُرۡءَانُ )، (وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ) (وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا )[1]؛ فناسبها الواو دون الفاء.

[1] انظر: درة التنزيل 114.

وأما آية يونس: فقد تقدمتها معطوفات بالفاء: (فَقَدْ لَبِثْتُ)، (أَفَلَا تَعْقِلُونَ ). **وبيانه**: إن كونه –عليه السلام –أمياً وأتاهم بكتاب أعجز بلغاءهم، وفيه من التشريع وأخبار السابقين ما لا عهد لهم به، مع نشأته بينهم وعدم مخالطته أهل كتاب ولا غيرهم، دليلٌ ظاهرٌ على أن هذا القرآن ليس من عنده. ولهذا نعى عليهم عقولهم، كيف لم يفطنوا لهذا؟! وهذا ظاهر أنه "تفريعٌ للإنكار والتعجب على نهوض الدليل عليهم؛ إذ قد ظهر من حالهم ما يجعلهم كمن لم يعقل"[1]. "أي: ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره من مثلي، ووجوب كونه منزلاً من عند الله؟"[2]. وكذا قوله تعالى: ( فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا )، هو مرتب على ما سبق، أي: إذا علمتم كون القرآن بمشيئة الله وأمره، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً، أي: ليس هناك من هو أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فكيف أجرُؤ على اختلاق قرآن مثله أو تبديله كما طلبتم؟!. هذا ما يظهر من السياق، وإليه ذهب أبو السعود[3]، وذهب غيره إلى أنه يشير إلى افتراء أهل مكة؛ لكونهم كانوا أفصح العرب وأهل بلاغة، وقد علموا أن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يكون من قول بشر، بدليل عجزهم عن الإتيان بمثله، ومع ذلك فقد طلبوا منه تغييره أو تبديله. وتقديره: وإذ قد تبين لكم صدق هذا النبي ومع ذلك نسبتموه إلى الكذب بطلبكم منه تغييره وتبديله، فلا أحد أظلم منكم في افترائكم على الله هذا الكذب[4]. وأقول: لا مانع من إرادة المعنيين؛ وذلك: أن قوله ( فَمَنْ أَظْلَمُ ) جاء

[1] التحرير والتنوير 122/11.
[2] تفسير أبي السعود 130/4.
[3] انظر: تفسيره 131/4.
[4] انظر: ملاك التأويل 150/1.

عاماً لكل من يختلق كذباً، فيدخل فيه هؤلاء، مع ما فيه من التبرئة لرسول الله أن يفتري على الله كذباً؛ لعلمه بأن لا أظلم ممن يفعل ذلك. وعلى كلا المعنيين، فإن الكلام مرتب على ما قبله؛ فناسبته الفاء. والله أعلم.

أما الآياتُ الأُخَر فمما جاء بها بالواو موضع الأنعام٩٣: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ، فقد قيل: إنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقيل في مسيلمة الكذاب[1]. وهي –وإن كانت نزلت لأسباب خاصة –فلفظها عام شامل لكل من افترى على كذباً، ويدخل فيه عموم المشركين. وإذا نظرنا لسياق الآيات قبلها، نجد لها علاقة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٩١، وهذا من افترائهم بلا شك، فرد الله عليهم بما يعلمونه من نزول التوراة على موسى عليه السلام، ثم ذكر لهم –بعد تمام الحُجة –هذا الكتاب المبارك، وهو القرآن، ثم عطف عليه –في حكمٍ عام –كل من يفتري على الله كذباً؛ فلم يكن ما قبله مسبباً عنه أو معقباً عليه، فلم تصلح له الفاء، فعُطف بالواو.

وأما موضع هود: 18، فإنه جاء بعد أن أبطل زعمهم: أن النبي افترى القرآن، فبيّن لهم أنهم هم المفترون؛ فعُطِفت على قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ هود: ١٧؛ لبيان استحقاقهم النار على كفرهم بالقرآن؛ لأنهم كفروا به افتراءً على الله، إذ نسبوا القرآن إلى غير من أنزله. وبهذا كانوا بالغين غاية

[1] انظر: تفسير الطبري 273/7، وانظر: تفسير البغوي 168/3.

الظلم، فجاء عنهم سؤال الإنكار هذا، الذي معناه: لا أحد أظلم[1]. وبهذا يظهر وجهُ عطفه بالواو؛ فليس للفاء مكانٌ هنا.

وأما موضع العنكبوت: ٦٨، فقد جاء تذييلاً يجمع ما شنَّعه الله عليهم من أحوالهم، التي يعترفون فيها بأن الله هو من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر، وأنه هو الذي ينزل الغيث، وأنه هو وحده الذي يتوجهون إلى دعائه حين يركبون الفُلك، فبيّن الحق لهم: أن لا أحد أظلم من هؤلاء الذين افتروا على كذباً وكذبوا بالحق لما جاءهم. فجاءت هذه معطوفة على جملة شنائعهم التي مرّ تفصيلها، وهذه لا يصلح لها غيرُ الواو.

بقي من المعطوفات بالواو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الصف: ٧: قال في التحرير والتنوير: "فالمراد من هذا الاستفهام هم الذين كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك عُطف هذا الكلام بالواو ودون الفاء؛ لأنه ليس مفرعاً على دعوة عيسى عليه السلام"[2]. أي: إن الآية قبله كانت تتحدث عن سيدنا عيسى عليه السلام، وكيف أنه لما جاءهم بالبينات قالوا: هذا سحرٌ مبين. فلما كان قولهم هذا شبيهاً بقول كفار مكة –وقد جاء بعد ذكر الرسول الموعود به، وهو نبيُّنا الكريم –ناسبه أن يذكر فيه ظلم هؤلاء الذي أنكروا دعوته، فعطفه بالواو دون الفاء. أي: لو عُطف بالفاء لكان مختصاً بقول المنكرين من أهل الكتاب دون المشركين. ويُلاحظ أن الآيات كلها جاءت فيها كلمة (كذباً) نكرةً، ما عدا موضع الصف، حيث جاء

[1] انظر: التحرير والتنوير 32/12.
[2] ابن عاشور: 188/28.

معرّفاً؛ وذلك لأنه صرح فيه بافترائهم حيث قالوا: (سحرٌ مبين)، فجاء معرّفاً بأداة العهد؛ ليقوم مقام الوصف، أي: هذا الكذب الذي لا امتراء فيه. ولم يَرِد افتراؤهم مفصلاً في السور الأخرى فجاء منكراً[1].

وأما الآيات التي عُطفت بالفاء، فقد مضى ذكر موضع يونس، وبقي ثلاثة مواضع، منها: موضع واحد جاءت فيه (**فَمَنْ أَظْلَمُ** ) في صدر الآية، وهي آية الأعراف، والآخران جاءا في وسط الآية.

أما آية الأعراف 37: فهي مرتبة على ما قبلها، وذلك: أن الله سبحانه ذكر افتراءهم عند فعلهم الفاحشة، وزعمَهم أن الله أمرهم بها، وكذلك تحريمهم الطواف في ثيابهم، بزعمهم أن الله حرّم عليهم الطواف في ثيابهم، فرد الله عليهم ذلك، وبيّن لهم أن الله حرّم الفواحش كلها ظاهرها وباطنها، وكذا الإثم والبغي وكذا قولَهم على الله ما لا يعلمون، أي: افتراءهم عليه في تحريم ما أحل وتحليل ما حرّم. ثم بين لهم عاقبة الأمم حين جاءتهم الرسل، وأنهم أحدُ فريقين: فريق اتقى وأصلح فكان عاقبتَه الأمنُ من الخوف والحُزن، وفريق كذب واستكبر عن آياته ربه فكان من أصحاب النار. ثم فرّع على هذا: (فمن أظلمُ....)، بمعنى: إذا كان مصير المكذبين المستكبرين النار، فإن من أكثر الناس ظلماً الذين يفترون على الله كذباً؛ فيُحرّمون ما أحل الله ويُحلون ما حرَّم الله، فلا أحد أظلم منهم. وهذا ما دلّ عليه الاستفهام الإنكاري. فبان من هذا ارتباط هذا الكلام بما قبله أشد الارتباط، فناسبته الفاء. والله أعلم.

[1] انظر: ملاك التأويل 151/1.

وأما آية الأنعام١٤٤: فارتباطها بالفاء واضح جلي، وذلك أنها جاءت رداً على المشركين في تحريمهم بعض أنواع الأنعام،

فكان قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ مترتباً على الإنكار في قوله: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾؛ فيترتب على ذلك الإبطال: أن يتوجه سؤالٌ مشوبٌ بإنكار، عمن اتصف بزيادة ظلم الظالمين الذين كذَبوا على الله ليضلوا الناس: أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً. وهؤلاء قد ثبت افتراؤهم الكذب، فكانوا أظلم الظالمين[1].

بقي موضع الكهف ١٥: فقد جاء في سياق قول أصحاب الكهف: ينعون على قومهم اتخاذهم آلهة من دون الله، دون حجة ولا دليل، وهو افتراءٌ على الله، فلا أحد أظلم ممن يفعل ذلك، فاستفهامُهم الإنكاري مُرتّب على اتخاذ قومهم آلهة دون دليل لهم على ذلك، وإذا كان كذلك، فهذا الربط أداته الفاء، كما لا يخفى. والله أعلم.

**المسألة الثانية: ﴿وَمَآ - فَمَآ أُوتِيتُم﴾**

جاءت بالواو في: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ القصص: ٦٠. وبالفاء في: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الشورى: ٣٦

[1] انظر: التحرير والتنوير 134/8 و135.

**أما آية القصص**: فإن الآيات قبلها تدل أن نفراً من كفار قريش اعتذروا عن اتباع الهُدى الذي جاءهم به نبيُّهم: بأنهم يخافون أن يتخطفهم الناس لقلتهم، فردَّ الله عليهم: أنه مكَّن لهم حرماً آمناً حرّم عليهم فيه سفك الدماء ومنعهم من أن يتناولوا سكانه بسوء[1]، ثم عطف عليه تخويفهم بما جرت به سُنته في القرى التي بطرت معيشتَها، وعطف على ذلك: أن هلاكهم لم يأتهم إلا بعد إرسال الرسل وبسبب ظلمهم، ثم عطف عليه تحقير متاع الدنيا وزينتها الذي أوتوه من الأمن والرزق، حتى يَسُل من قلوبهم ما كان سبباً في إعراضهم، وهو خوفهم على أنفسهم وأموالهم، فتبين بهذا وجه عَطف هذه الجملة على قبلها، وأنها جاءت بالواو لهذا الغرض، الذي يفيد العطف دون تعقيب أو تسبيب.

وأما آية الشورى: فقد تقدمها بسط الله الرزق لعباده، في آيات متفرقة، أولها: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴿١٢﴾ ﴾ ، وبعدها: ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ ﴿١٩﴾ ﴾ ، وتلتها آية تحقر حرث الدنيا لمن يريدها، وتحض على حرث الآخرة، ثم تلاها: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ ﴾ ، فكان كل ذلك تمهيداً ليُفرّع عليه قوله: (فما أوتيتم..)؛ أي: أنكم قد علمتم أن الله هو الذي يبسط الرزق ويقدره، وأن من يريد حرث الدنيا يؤتى منها، ولكنه يُحرم من نعيم الآخرة، فما أوتيتموه من رزق فهو متاع زائل، وأن الذي يبقى هو ما ادّخرَه الله للمؤمنين يوم القيامة[2]. وكذلك لهذه الآية

[1] انظر: تفسير الطبري 93/20.

[2] ذكر ابن عاشور قريباً من هذا، إلا أن تفريعه كان مرتبطاً بالآية الأخيرة [27] وحدها، انظر: التحرير والتنوير 109/25.

اتصال بالآيات القريبة منها، التي تدل على نعمة الله عليهم بالأمن والسلامة من أهوال البحر، بعد أن أشرفوا على الهلاك؛ فعقّب ما لهم من الخوف بما أوتوه من الأمنة والسلامة، فصلُحت له الفاء[1].

**المطلب الثاني: ما جاء فيه اسم الموصول مسبوقاً بأداة**

وهو مسألة واحدة:

**مسألة: (فَأَمَّا مَنْ - وَأَمَّا مَنْ)**

جاء بالفاء في موضعين: **الأول**: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ الحاقة: ١٩.

**الثاني**: قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ الانشقاق: ٧ - ٨.

ومسبوقاً بالواو في موضعين: **الأول**: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴾ الحاقة: ٢٥.

**الثاني**: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ ﴾ الانشقاق: ١٠ - ١١.

[1] انظر: درة التنزيل 345.

هذه المسألة مُهملة في جميع ما اطلعتُ عليه من المصادر التي لها عناية بتوجيه المتشابهات.

**أما المُصَدّر بالفاء في سورة الحاقة؛ فلأنه تفصيل لأحوال العرض في قوله تعالى:** ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ الحاقة: ١٨؛ إذ المراد به عرض الحساب والجزاء. وإيتاء الكتاب أن يوقف كل واحد على صحيفة أعماله. "و(أما) حرف تفصيل وشرط، وهو يفيد مفاد (مهما يكن من شيء)، والمعنى: مهما يكن عرْضٌ فمن أوتي كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية"[1]. وأما الآخر المسبوق بالواو في الحاقة؛ فلأنه عطفٌ على ما قبله، وهو قسيم للأول: فقد ذكر أولاً من أوتي كتابه بيمينه، ثم عطف عليه من أوتي كتابه بشماله. وهذا إنما يصلح له الواو.

وكذلك في سورة الانشقاق: جاءت الفاء في الأولى؛ لأنها تفصيل لجزاء الإنسان على كدحه، ثم عُطِف عليه قَسِيمه، وهو من يُؤتى كتابه وراء ظهره، فناسبته الواو. والله أعلم.

***المبحث الثاني: ما جاء فيه بعد الواو والفاء أداة تكثير.***

وأداة التكثير التي جاء الاشتباه فيها هي (كأيِّن)، فانحصر المبحث في مطلب واحد ومسألة واحدة:

[1] التحرير والتنوير 129/29.

**( فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ - وَكَأَيِّن ).**

جاءت بالفاء في: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ الحج: ٤٥، وبالواو في: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ الحج: ٤٨.

أما الأولى التي بالفاء: فهي بدلٌ من قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الحج: ٤٤[1]. أي: كيف كان إنكاري عليهم؟ وهو إنكار تضمن زجراً وتعجيباً من تبدل نعمتهم التي كانوا فيها: كيف انقلبت إلى هلاكهم وخراب ديارهم[2].

وعند النظر في الآيات قبلها: يظهر لنا أن تكذيب القوم لرسلهم هو السبب في إملاء الله لهم ثم أخذُهم: فعُطف (ثم

أخذتُهم) على (فأمليتُ)، وجاءت الفاء في (فكيف كان نكيرِ) للتعقيب لا غيرُ، أي: استحضاراً للسامع مما يُتَعجّب له من الاستفهام عن حال تلك الأخذة، ثم عقّب بقوله: (فكأين من قرية)؛ تفسيراً له، ليكشفه كشفاً تاماً، أو يبدل منه إيضاحاً، كما يراه صاحب الكشاف[3]. وهذا هو الترتيب الذكري، الذي يُفصَّل فيه ما

[1] الكشاف للزمخشري في صدر فتوح الغيب 503/10. وانظر: كشف المعاني ص 263.
[2] انظر: فتوح الغيب 497/10. وانظر: التحرير والتنوير 284/17.
[3] هذا معنى ما عقّب به الإمام الطِّيبي في فتوح الغيب 503/17.

ذُكر مجملاً: فالإملاء لكثير من القرى، ثم أخذها يفسر كيفية نكير الله وغضبه عليهم؛ فناسبه حرف التفريع[1].

والواو في الثانية عطف على الجملتين المعطوفتين بالواو قبلها[2]، وهما قوله: ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وهما معطوفتان على قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ الحج: ٤٧. "أي: أخبر عن استعجالهم العذابَ، وعن أن الله تعالى لا يخلف وعده، وعن أنه حليمٌ لا يعجل، وعن أنّ لهم أُسوةٌ بالأمم الظالمة إذا لم يَعتبِروا بها"[3]. فالواو – على هذا –هي واو العطف، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري، كما فسره الإمام الطيبي، وذهب هو إلى أن الواو للحال، قال: "كيف يستعجلونك بالعذاب؟ والحال أنه لا بُدّ أن يُصيبهم ما وعد ربُّك، وإن ذلك عن قريب، أو أن الموعود شديدٌ مُرُّ المَذاق، وأن سنة الله في الإنظار ثم الاستئصال جاريةٌ في الأمم الخالية، فماذا يستعجِلُ منها المجرمون؟"[4]. وعلى كلا المعنيين فالواو هي التي تصلح، فوضح الفرق بين الآيتين.

[1] انظر: التحرير والتنوير 285/17.

[2] هذا قول الزمخشري، انظر: فتوح الغيب 503/10.

[3] فتوح الغيب 504/10.

[4] المصدر نفسُه 503/10 و504.

**خاتمة البحث:**

لقد منّ الله الكريمُ بفضله بإكمال هذا البحث، رغم ضيق الوقت وكثرة المشاغل، فله الحمدُ أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وفيما يلي أهم نتائج البحث وتوصياته:

***نتائج البحث:***

- جمع البحثُ -في حدود الطاقة البشرية -كل ما اشتبه لفظُه من الآيات القرآنية بين الواو أو الفاء؛ فحقق بذلك فائدة كبيرةً لحفظة القرآن، الذين تشتبه عليهم آياتُه بسبب ذلك.
- أوضح البحث المعاني المشتركة والمختلفة بين الواو والفاء إجمالاً: فبين أنهما يشتركان في إشراك المتعاطفين لفظاً ومعنىً، وفي الاستئناف، الذي يُراد منه الانقطاع لفظاً لا معنىً، وتنفرد الواو بمجيئها للحال، وللقَسَم، وبمعنى (مع)، وتنفرد الفاء بربطها للجواب، وإفادتها التعقيب والترتيب والسببية.
- قُسِّم البحث تقسيماً نحوياً؛ ليكون أقرب لضم النظائر إلى بعضها: فاشتمل على فصلين رئيسين: خُصص الأول للأفعال المعطوفة، والثاني للأسماء المعطوفة، وتفرعت إلى خمسة مباحث، لكل مبحث مطالب، ولكل مطلب مسائل، فانتهت مسائلهُ إلى تسعٍ وعشرين مسألة.
- كشف البحث عن أربع عشرة مسألة، أغفلتها المصادر المُوجهة للمتشابهات. وقد أمكن الوصول إلى توجيهها بالاستعانة ببعض كتب التفسير، وبسياقها العام، ودلالة ألفاظها.

- بيّن البحث وجهَ كلِّ ما جاء منها بالفاء وأنه لا تصلح له الواو، ووجهَ ما جاء منها بالواو، وأنه لا تصلح له الفاء، وإن كان بعضُ توجيهاته لا يُهتدى إليها إلا بعد تدقيق وتحقيق.
- وإذ قد تبيّن أن كل حرف قد وُضِع موضعه اللائق به، دلّ ذلك على أنه من لدن حكيم عليم، لا تخفى عليه خافية. وهذا ما يُفسِّر لنا محافظة الأمة على ألفاظ القرآن؛ بنقلها نقلاً متواتراً عبر حِقب التاريخ المختلفة.

***التوصيات:***

- يُرجى أن تتوجه عناية الباحثين، المختصين بعلوم القرآن، لبذل المزيد من البحث في المتشابهات اللفظية؛ فإنها ما زالت بِكْراً، رغم ما للسابقين فيها من جهود طيِّبة.
- كما يُرجى أن تُنظَّم مؤتمرات خاصة بالمتشابهات اللفظية حتى تنال حظها من العناية والرعاية.